في ابستمولوجيا اللون استقصاء دلالي في أنساق مختلفة

Epistemology of Colour: A Semantic Survey of Different Formats

د : مكي محمد*

تاريخ الإرسال: 2022/03/24	تاريخ القبول: 2022/04/13	تاريخ النشر: 2022/05/01

الملخص

ابستمولوجيا اللون هو استقراء للدلالات الممكنة للون في أنساق معرفية عدة تبدأ بالتحديد الأسطوري للون الذي لا ينأى كثيرا عن الفهم الوثني المرتبط بالمخيال المثيولوجي ثم يتنقل التوصيف إلى المفهوم الديني الذي ترتقي فيه المدارك عن التصور الخرافي الساذج وتتجه المعاينة صوب التوصيف النفسي العاطفي ثم التوصيف الجمالي

الكلمات المفتاحية ابستمولوجيا / اللون / استقراء / أنساق

Abstract:

The epistemology of colour is an extrapolation of the possible connotations of colour in several cognitive systems. Beginning with the mythical identification of color that does not stray far from the paganism understanding associated with the mythological imagination; the characterization moves then to the religious concept. In this latter concept, perception surpasses the naive superstitious conception. Inspection goes therefore towards the psychological-emotional characterization, the aesthetic characterization,

Keywords : The epistemology / colour Semantic Survey / Different Formats.

المؤلف المرسل: محمد مكي medm16@yahoo.com

1 كلية اللغة العربية وآدابها جامعة المدية medm16@yahoo.com

المقدمة

في محاولة لاستقصاء دلالات اللون تقف المعاينة على أنساق عدة، ذلك أن اللون تتجاذبه حقول متباينة، الأمر الذي يؤكد قيمة هذه العلامة السيميائية (اللون) ، مثلما يؤكد عدم القدرة على استقصاء إمكاناتها الدلالية كلها بالبحث و التدقيق، على أن هذا الفضاء الذي يتحرك فيه اللون على رحابته لا يمنعنا الاقتراب من كل نسق آخذين منه ما يؤسس لمنجز معرفي يراد منه إقامة الصلة بين هذه الحقول المتباينة .

إن قراءة اللون _ بالوصف الذي سبق _ هو مطلب عسير ، خفي ، ومستفيض يتداخل فيها الأسطوري ، الديني، التاريخي، الثقافي ، الإيديولوجي، النفسي، العلمي، الجمالي ...

إن اللون _ بهذا الوصف _ عالمٌ رحبٌ تحكمه عوالم متشاكسة ومتباينة كيف ندرك اللون ونحسه ؟

بلغة الفيزياء : اللون أطياف وإشعاعات وموجات متداخلة تفسرها الحاسة البصرية – عبر عملية جد معقدة _ تترجمها إلى ما يعرف باللون...

ميثولوجيا : ماذا يمثل اللون في مخيلة الإنسان منذ القدم ؟ هو كائن أسطوري يوجه حياة ذلك الإنسان لأنه_ بمقتضى اعتقاد ساذج _ يستبطن اللون قوى خفية. **ثقافيا:**كيف **تَبَوَّأَ** اللون موقع الشعارية فكان لكل أمة ألوانها ولكل معتقد راياته؟ **جماليا:** ما الذي أوحى للمبدعين _ على اختلاف فنونهم _ أن يجعلوا اللون وشما في أجساد روائعهم الفنية...وكيف استمد اللون _ عندهم _ رمزية الدلالة على ما تدل عليه اللغة....؟

فلنتقرب من اللون _ في محاولة لاستقصاء دلالاته _ من خلال هذه الوصفات:

1.1- **الوصف الأسطوري:**

هل كان عجز الإنسان الأول _ مع التحفظ على مفهوم الإنسان الأول _أمام ما يحيط به من ظواهر كونية ، وعدم قدرته على تفسيرها، وإدراك كنهها هو الدافع الأساسي لركونه إلى

اللون وتأويل حركة هذا الكون به، ذلك أنه _ مع هذا العجز المطبق _ كان يُعتقد أن الألوان إن هي إلا أرواح تسكنها قوى خفية خارقة، تنفع وتضر !

إننا نجد في بعض أساطير الهنود القدامى تفسيرا وثنيا لخلق الإنسان(من فم الخالق جاء البراهمة الذين لونهم أبيض وهؤلاء هم رجال الدين، ومن ذراعيه جاءت طبقة الجنود الذين لونهم أحمر ومن فخذه جاءت طبقات التجار وهؤلاء لونهم أصفر ، ومن قدمه جاءت طبقة الخدم ،وهؤلاء لونهم أسود)[1] ومثلما تفسر الأساطير الهندية خلق الإنسان باللون ؛ تفسر الأساطير الإغريقية خلق السماء و النار باللون أيضا فال(السماء هي لحظة ارتداء (زيوس جوبيتر) (zeux- Jupiter)، معطفه الأزرق.. أما النار فما هي إلا لحظة أخرى يرتدي فيها (زيوس) معطفه الأحمر)[2]، وقريبا من تلك الأسطورتين أسطورة من أمريكا القديمة تعد اللون هو من أحدث (أي أوجد) الزمن ،(الأبيض للشرق وقد أحدث النهار والأصفر للغرب وقد أحدث الشفق ، والأسود للشمال وقد أحدث الظلام وغطى به العالم)[3]، وقد تُنزل الأساطير اللون أعلى منازل التقديس فتحيله لون الآلهة بل ربما جعلته هو نفسه إلها ! فالأصفر(عند الصين شعار بوذا ولون ملوك الصين، يحرم على الشعب اتخاذه....وهو عند قدماء الألمان إله الربيع)[4]

ولعل هذه القداسة التي تستمد مرجعيتها من المنزع الخرافي الوثني هي التي تبرر(اقتران الألوان _ منذ أقدم العصور_ بإثارة المظاهر الغريبة في النفس البشرية، فهي تثير الخوف والاضطراب والسعادة والارتياح والحزن والهلع...)[5]

2.1 - الوصف الديني :

وكان لتخلي الإنسان عن تلك الوثنيات ،والأساطير أثره في فهم اللون، فلم تعد له قداسة الآلهة، ذلك انه مع(إذعان الناس للوحي، وأمر السماء وجدوا في هذا الإذعان تفسيرا للخوارق التي طالما حيرتهم، وهنالك ولدت رمزية جديدة لتلك الألوان)[6] ، وقد يكون لكل ديانة رموزها ، لكن ذلك لا يمنع من التقاء أكثر من ديانة في نظرتها لبعض الألوان ك

(الأخضر لون الكاثوليك المفضل...وهو عند المسلمين لون الألوان، والأحمر يرمز في الديانات الغربية إلى الاستشهاد في سبيل مبدأ أو دين وهو رمز لجهنم في كثير من الديانات، حيث توصف جهنم بأنها حمراء)[7]، ومثلما ترمز الخضرة للحياة والخلود، والحمرة للموت وللعذاب ، فإن ألوانا أخرى تعبر عن أسرار ورموز، نرصدها في مذكرات بطريق مقدس كتبت في القرن الخامس :

(لقد وضع (موسى) في ملابس (هارون) _ القسيس الأكبر _ ثمانية ألوان... إن هي إلا أسرار ورموز يجب أن ندركها في ملابسنا.. فحين يرى القسيس اللون الأصفر يعلم أن جسده ما هو إلا صلصال وتراب فليس ثمة ما يدعو لتسرب الكبر إلى قلبه! أما الأزرق فإنه يُومئ له بذلك الأفق الممتد، الذي تجوب الروح ثناياه، نائية عن رذائل الأرض..أما الأبيض لباس التَمّ أو التِمّ (أو القُقْنُس) (الإوز العراقي) (بالإنكليزية **Swan**) فهو رمز الطهارة... والأسمر شعار الخائن للعهود والواجبات، وهو لأجل ذلك سيعاقب في نار الجحيم...أما الأحمر فهو دعوة للمطر من المسيح المصلوب ، والأسود شارة البكاء على أعتاب الخطايا، أما الأرجواني فهو مجلبة المجد والعظمة السماوية)[8]

3.1- **اللون عند المسلمين:**

كيف تعامل العقل المسلم _ بعد صدر الإسلام _ مع اللون؟

لقد أخرج التصور الإسلامي الجديد اللون من دائرة التقديس القائم على المنزع الوثني ، وعده رمزا يتأسس على مرجعية عقدية (قرآنية/ نبوية)_ وبهذا الوصف _ لا يكون اللون في منظومة الفكر الإسلامي الجديد لاهوتا ، ولا قوى روحية خفية، إنه _ بكل تحديد _ علامة تحيل إلى رصيد جم من القيم، وتختزل كما هائلا من إمكانات اللغة، إن اللون عندهم _ بالوصف الذي سبق _ لغة دالة ومعبرة . ونرصد فهم المسلمين للون من خلال هذه المقولات:

- احتفاء الخطابين القرآني والنبوي باللون
- تأسيس العقل المسلم لمرجعية اللون

- تعبيرية اللون

1. 3 -1 **احتفاء الخطابين القرآني والنبوي باللون:**

إن تواتر ذكر اللون في الخطاب الكريم في مواضع كثيرة يترجم أهمية هذا المعطى في الدلالة على الأشياء، إنه لغة ذات شحنات تعبيرية تحيل إلى معاني متجددة ، فيتمثلها الملتقى قيمة تبليغية أولا ثم أثرا جماليا بما تحمله من قيم رمزية....

إننا لا يمكن أن نتصور هذا التواتر _ الذي كثيرا ما يرتبط بدعوة الى التأمل وإعمال الفكر _ شيئا عارضا: فلنتأمل مثلا ماجاء في سورة فاطر

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ 27 وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ 28) فاطر27/ 28

وشأن الخطاب القرآني الكريم في احتفائه باللون يتواتر اللون في الخطاب النبوي الشريف في مواضع عدة ويرد كشفرة تعبر بما تملكه من إمكانات دلالية متنوعة على ما قد تعجز عنه اللغة أحيانا... فالخضراء في الحديث المشهور :

(إيَّاكُم وخضراءَ الدِّمَنِ فقيلَ : وما خَضراءُ الدِّمنِ يا رسول الله ؟

قالَ : المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السُّوءِ) أخرجه الدارقطني عن أبي سعيد الخدري

فالخضراء ليست صفة بقدر ما هي بؤرة لدلالات عدة (الحياة _ الشباب _ النضرة _ الفتنة _ الغواية....)، وما نفهمه من دلالات حضور الخضرة في هذا الحديث نفهمه من حضور ألوان أخرى ، من أحاديث أخرى، في مواضع أخرى..

3.1 2 **تأسيس العقل المسلم لمرجعية اللون:**

إن اعتبار الأخضر لون الألوان،_ بعد النور _ عند المسلمين لأنه لون الحياة، ولون الجنة وهو ما يفسر كون رايتهم الأولى خضراء [9] لا يعني إقصاء غيره من الألوان، فقد روي (أن اللون الأسود، واللون الأبيض كانا من رايات الرسول صلى الله عليه وسلم [10] وهو ما

يبرر منزع العباسيين في اعتبار السواد شعارا لهم في ثورتهم على الأمويين فكانت رايتهم سوداء وكان لباسهم الرسمي وقلنسوتهم سوداوين [11] وإمعانا في تأسيس مرجعية اللون إلى الفعل النبوي ، ذكروا ما كان من الرسول صلى الله عليه وسلم حين عقد للعباس يوم حنين والفتح راية سوداء [12] ومثلما كان السواد رمزا للعباسيين في ثورتهم على الأمويين، كان البياض_ الذي هو لون من ألوان الرسول صلى الله عليه وسلم_ شعار معظم الثوار الذين عبروا عن سخطهم ، وتمردهم ضد الدولة العباسية... من ذلك أهل الشام المعروفون بولائهم لبني أمية، ثم العلويين الذين اعتبروا الخلافة حقهم المشروع الذي اغتصبه العباسيون، ثم الفرس الذين خابت آمالهم التي عقدوها على مجيء العباسيين، فثاروا ليحققوا مكاسب أكثر..)[13]

وما قيل عن الخضرة والبياض والسواد، يقال عن الصفرة والحمرة وغيرها من الألوان عدا الزرقة التي أعرضوا عنها تأسيسا على استهجان القرآن الكريم لها في قول الله تعالى (يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) سورة طه 102

وحين نقف مثلا عند مبررات العباسيين في اختيارهم السواد شعارا لهم، نقف على تفكير واع حريص على التأسيس المرجعي لهذا اللون حتى يؤدي فعله التأثيري والحجاجي في نفوس الأتباع ممن يناصرون دعوتهم ويتحمسون لفكرتهم، لأجل ذلك لا يترددون في استدعاء كل المبررات التي تعمق دعواهم، وتجلي لونهم على كل الألوان ، فالسواد فضلا عن كونه من ألوان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أيضا (لون داوود وأصحابه حين لقي جالوت وظفر به)[14]، كما أن (سهم عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وسلم لونه أسود وكذلك لباسه.... والأنصار لبسوا السواد بعد معركة أحد...)[15]

و لسنا بحاجة أن نستقصي كل المبررات التي اختارتها الطوائف والفرق الإسلامية على اختلاف مذاهبها وعصورها _كي تدعم مذهبها في اختيار لون ما ، رمزا لها _بقدر ما نهدف إلى بيان أن رمزية اللون_عندهم _كان لا بد لها كي تؤدي وظيفتها التأثرية والشعارية من أن

تتأسس على رصيد مرجعي عميق، قوامه القرآن و الحديث النبوي، أو ما ثبت في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم .

1. 3 3 تعبيرية اللون:

اختزال اللغة ودلالة الأثر:

كان كافيا أن تدخل تلك المرأة حاملة تفاحة حمراء المسجد على (أبي حنيفة النعمان) ، ليفهم مسألتها، فيلتمس من أحد تلاميذه سكينا ليقسم التفاحة نصفين... ثم تنصرف المرأة شاكرة وقد وعت جواب مسألتها ! لقد منعها الحياء أن تسأل الإمام (أبا حنيفة) : ما علامة ارتفاع الحيض عن المسلمة كي تغتسل للصلاة؟ لقد عبرت بلغة اللون عما تحرجت في الإخبار عنه باللغة الصريحة: وحتى لا يخدج الإمام حياء المرأة ،أجابها باللغة التي آثرت أن تسأله بها ، فقسم التفاحة نصفين، إشارة إلى لون داخلها ، الذي هو صفرة، تخالطها حمرة خفيفة، فكان جوابه على هذا التقدير: حين تكون الصفرة غالبت على الحمرة فيما تلقيه المرأة ! لقد كان كافيا أن تكون الحمرة تعبيرا عن كل ما جاء في السؤال، مثلما كان كافيا أن تكون الصفرة التي تخالطها حمرة خفيفة تعبيرا عن كل ما جاء في الجواب ، كان اللون أيقونة السؤال مثلما كان أيضا أيقونة للجواب متجاوزا في ذلك لغة الكلمة ببراعة ودقة وجمال

1. 4 الوصف النفسي:

ونعني بالوصف النفسي محاولة فهم أثر اللون في النفس البشرية، ومع أن هذا الأثر يتعذر تفسيره تفسيرا موضوعيا (إذ إن دراسة كل لون على حده في الجهاز العصبي تتطلب عزلا تاما لمزاج الفرد، وخبراته التي يرتبط فيها كل لون بانفعالات وعواطف خاصة [16](إلا أننا يمكن أن نميز أربعة أنماط تحدد استجابة الملتقي للون وضحها العالم الإنجليزي (إدوار بلا) (E . Bulough) وهي:

الترابطي(Associative)

الفسيولوجي(Physiological)

الموضوعي(Objective)

نمط الشخصية الخلقي[17](Character)

1. 4 .1 النمط الأول الترابطي:

هو إدراك اللون مرتبطا بحادثة أو فكرة سابقة ، بحيث يكون هذا اللون محفزا لتداعي تلك التجربة في ساحة الشعور.

1. 4. 2 النمط الثاني الفيزيولوجي

ملاحظة أثر اللون في النفس بحيث يثير كل لون إحساسا ما، يختلف هذا الإحساس من شخص لآخر، أو هو الحكم على اللون من خلال الأحاسيس الشخصية، التي تثيرها كالبرودة والخمول[18].

1. 4 3 النمط الثالث الموضوعي:

الاهتمام الموجه إلى اللون بالنظر إلى خصائصه الذاتية من ذلك معيار نقائه، صفائه، درجته.

1. 4 4 النمط الرابع: الشخصية/ الخلقي:

محاولة إضفاء الأحوال والأنشطة الخارجية على اللون فتوصف ألوان بأنها هادئة ومرحة ونشيطة... من ذلك أن الأحمر صريح ونشيط، والأزرق متحفظ وتأملي [19] وشأن باقي الإحساسات التي تتولد جراء مؤثرات مختلفة(الفرح/ الحزن)، (البرودة / الحرارة) الجوع... الظمأ... الغضب... يتباين تأثير اللون في نفوسنا من لون لآخر: (وكما الروائح الذكية والفائحة،أو النغمات العالية أو المنخفضة أو المقامات الكبرى والصغرى تختلف فيما بينها بسبب اختلاف إثارتها للحواس، كذلك نجد أن اللون الأحمر يختلف عن اللون الأخضر، والأخضر عن البنفسجي، فلكل من هذه الألوان عملية عصبية خاصة بها، ومن ثم كان لكل منها قيمة خاصة ، وهذه الصفة العاطفية للألوان لها علاقة بالصفة العاطفية للإحساسات الأخرى، ولهذا لا ينبغي أن نعجب إذا كانت درجة الذبذبة العليا التي تنتج صوتا حادا في الإذن تنطوي إلى حد ما على نفس الإحساس الذي تولده درجة عليا من

الذبذبة، التي تنتج للعين لونا مثل اللون البنفسجي)[20] ومن المثير أن نجد في تراثنا، تمثلا لأثر اللون في النفس، يتعدى الرؤية السطحية، الى الرؤية العميقة، إننا نقف_تمثيلا وإيجازا_ عند فهم (ابن حزم الأندلسي) للون، الذي يتجاوز كثافة الحس وثقله ، إلى رفاهة الروح ، وباطنها، حتى يقرر(أن المرأة في مضجعها حين تداوم مطالعة اللون الأسود يتسلل إلى باطنها متجاوزا حسها فتلد الطفل الأسود وهي وزوجها أبيضان)[21] وبصرف النظر عن خلفية هذا المذهب معرفيا، ودون الوقوف على القاعدة التي أسس عليها (ابن حزم) حكمه ، فإن هذا الفهم وهذا التمثل الحيوي لأثر اللون يعد (أقصى ما يمكن أن نطمح إليه في أثر اللون النفسي وتجاوزه سطح الحس إلى باطن الإدراك)[22] وكأن (نيوتن) حين يقرر أن اللون موجود في أعماقنا (اللون فينا)[23]لم يزد على ما قاله (ابن حزم) شيئا .

1. 4 5 الدلالات النفسية للون:

وقبل تجاوز الوصف النفسي نوجز أهم دلالات الألوان المتعارف عليها، ومن المهم قبل ذلك أن نقرر بأن المصادر التي استلهم اللون منها دلالاته تخضع نسبيا لتلك العلاقة القائمة بين اللون كمثير والرمز كإحالة ، من ذلك **العلاقة الطبيعية** ، القائمة بين الأخضر ، كرمز للحياة والبعث، من حيث أن الخضرة، لون النبات الحي والصفرة لون النبات الميت ، أو **العلاقة الفسيولوجية** كرمزية الصفرة على الذبول واليأس، التي تستمدها من سيما المريض الذي تعتريه الصفرة ، أو امتثالا **لعلاقات نفسية، ارتباطيه** ، كرمزية الحمرة على الثورة من حيث أن الأحمر يرتبط بالحياة، والتدفق والحركة والنار... وقد تغيب هذه العلاقات كلها في إنتاج الرمز، من ذلك دلالة الأزرق عند بعض الأمم على الأمل ،ودلالة الصفرة على الخيانة والغيرة تارة، وعلى المجد تارة أخرى، ودلالة البياض على الحداد تارة ، وتارة على نقيض ذلك رأسا فيدل على السرور والحبور والفرح .

وفيما يلي أهم الرموز.

1. 4 .5 1. الأبيض:

رمز الطهر، النقاء، البراءة ، لون النور المرح ، السعادة، المجد الخلود [24] الغبطة ، العفاف، السلم،[25] الصدق وهو يمثل ″ نعم ″ في مقابل ″لا ″، الموجود في الأسود [26] وهو لباس رجال الدين من الرهبان المتصوفة [27] ، ولون الزيجات والأفراح.

1. 4 .5 2. الأسود:

رمز الحداد، الحزن ، وهو لأجل ذلك يرافق ترتيل الموت [28]، ويرمز للخوف من المجهول والميل الى التكتم، ولكونه هو سلب اللون يدل على العدمية والفناء [29] ، وهو رمز الخطيئة والظلام والقساوة والصلادة[30] .

1. 4 .5 3. الأخضر:

رمز الحياة ،والتجديد، والانبعاث الروحي، والربيع ،والأمل، ويحدد (اينشتاين) أن الديانات المسيحية والإسلامية والصينية تتفق في هذا [31] ، كما أنه رمز للنبل ، ولا يزال بعض الإسبان يضعون شارات خضراء على قبعاتهم، علامة الشرف وقد توارثوها عن العرب[32]، وقد يرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس [33].

1. 4. 5. 4 الأصفر:

لون الخريف ، وهو بذلك لون الشحوب، والذبول والحزن، والقحط والبؤس، وقد يتخذ رمزا للخيانة، والغش، والخداع (الضحكة الصفراء)، (أصفر الوجه) [34] مثلما يدل على الوشاية ، والغيرة و الانحراف ، ففي فرنسا، في القرن السادس عشر، كانت أبواب الخونة ، والمجرمين تلوث باللون الأصفر، وفي إسبانيا كانوا يتسلون بإجبار الهراقطة _أي الذين ينشقون علنا عن عقيدتهم _على ارتداء صليب أصفر اللون، كتكفير، عن ذنوبهم، وكانت محاكم التفتيش، ترغمهم على أن يظهروا للجماهير في أردية التكفير، وهم يحملون شموعا صفراء.[35]

على أن هذه الرمزية ليست ثابتة، فربما دل الأصفر _ في سياقات أخرى _ على التحفز والتهيء للنشاط [36] ، وقد يكون ذلك لارتباطه بالضوء، والشمس، والذهب ، ولأجل ذلك أستخدم في زخرفة كثير من المساجد والكنائس [37].

1. 4. 5. 5 الأحمر:

رمز العواطف الثائرة، والحب المتلهب، والقوة ، والنشاط، وقد يستعمل للدلالة على الغضب والقسوة والخطر[38]. ولأنه لون النار، والدم ، فهو يدل على الثورة والتمرد والحركة، والحياة الصاخبة [39].

وعند المسيحيين،هو لون الروح المقدسة، وشعلة محبة الرب، وشارة الاحتفال بالشهداء، وبعيد الخمسين البونتكوت (pentecôte)[40] ويرى كاندنسكي (Kandanisky) أن الأحمر المصفر يثير الشعور بالقوة،و الطاقة ، والطموح، والتصميم ، والعزم ، والمرح ،والنصر، فيما يرى (جوبيه) أن الأحمر المفحم بالأزرق يكتسب وجودا لا يطاق [41].

وغالبا ما يرتبط اللون الأحمر بالرغبة البدائية، والنشاط الجنسي ، وكل أنواع الشهوة، أما اللامع منه فيشير عادة الى الانبساط، والنشاط، والطموح ، والعملية أما الفاتح منه فيدل عادة على التهور، وعدم النضج ، كما يدل على حيوية الشباب وصحته [42].

1. 4. 5. 6 الأزرق:

الأمل ، التقى ، الورع ، الإخلاص سلامة الطوية ، هذه معاني الأزرق ، عند الكنيسة الإنجليزية[43]، لكنه في سياق آخر، يعد القاتم المرتبط بالظلام ، رمزا للخمول والكسل ، والهدوء، والراحة. وهو في التراث الإنساني مرتبط بالطاعة والولاء، وبالتضرع والابتهال ، وبالتأمل، والتفكير. أما الفاتح فيعكس الثقة ، والبراءة، والشباب ، ويوحي بالبحر الهادئ ،والمزاج المعتدل. أما الأزرق العميق فيدل على التميز، والشعور بالمسؤولية والإيمان برسالة ينبغي تأديتها[44]، وربما يعبر عن الامتداد، والعالم الذي لا يعرف الحدود [45]. ونشير أن اللون الأزرق عند المسلمين يرتبط بمعاني الاستهجان خاصة في حداثة البعثة ، على أن ذلك لا يعني استحسان هذا اللون في الجاهلية، فالعرب قبل

مجيء الإسلام، كان أبغض لون لديهم الأزرق ، ربما لارتباطه بلون عيون أعدائهم الروم ، مثلما يورد القرآن الكريم هذا اللون مرتبطا بالعذاب يوم القيامة في إشارة إلى وصف المجرمين ونَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا على أن هذه الدلالة لم تدم طويلا ، إذ تعامل المسلمون في العصور المتلاحقة مع الأزرق كلون مثل باقي الألوان

1. 5 الوصف الجمالي :

ونعني بالوصف الجمالي الانتقال باللون من نسقه الطبيعي ، الفيزيائي ،النفسي،إلى نسق الممارسة الإبداعية، على أن هذه الممارسة لا تقتصر على الرسم والفنون التشكيلية فحسب بل إنها تمتد إلى حقل اللغة المكتوبة .

فما موقع اللون في الحقل المتعلق بالرسم ؟

لا حاجة للقول بأن علاقة اللون بالرسم ، هي علاقة وجود ، وعلاقة هذا بذاك كعلاقة الكلمة بالحرف ، والنوتة بالنغم ، إنها علاقة كينونة، بحيث يتحدد وجود الرسم بوجود اللون ، والرسم بتحديد (برادين) هو (الفن الذي يلهو باللون لهو الموسيقى بالنغم)[46] وإذا فالخوض في تأكيد نسبة اللون إلى الرسم ، خوض في المتعارف عليه بالضرورة.

إن ابداعية اللون في هذا الحقل تتحدد من خلال ذلك النشاط الذي يبذله الرسام ، وقد تعاطى أصباغا لا معنى لها، فيجمع بينهما بانسجام وتضام وتناغم عبر أبعاد ثلاثة: منظور ،عمق و زمن ، ليشكل هذا التعانق العمل الفني الذي كان قبل ذلك تصورا ذهنيا وفكرة مجردة، على أن هذا العمل الفني _بشكله النهائي _ ليس إلا محاكاة لصور محسوسة في واقع الفنان.

وهكذا لن تكون تلك الألوان التي هي مادة العمل الفني، وروحه النابضة هي (ذات الألوان المعثورة في الطبيعة، وإنما هي بديلها ، وحين يعمد الفنان إلى توزيعها في استواء اللوحة ، ببعدين منظورين، فإنه يحاول بواسطتها تمثيل ما هو كلي، كما يحاول إيهام النظر بوجود بعد ثالث: عمق، وبعد زمني رابع)[47]ومن المهم أن نؤكد أن هذه المحاكاة

ليست حركة آلية، ونسخا لتلك الصورة الموجودة في الواقع، وهنا تكمن قيمة الرسم، ويكمن الفارق بينه وبين التصوير، فالمصور ينقل الصورة كما هي ، بدقة ورتابة وآلية ، إنه ينسخ الواقع كما هو ، أما الرسام فيتناول الصورة نفسها الموجودة في الواقع ، لكنه ينقلها كما يراها، إنه يضفي عليها من إحساساته، وتجاربه ونوازعه، فتصبح الصورة _ بهذه الكيفية _ تعبيرا عنه ، حتى وإن بدت أنها محاكاة لصورة موجودة في الواقع سلفا، (وإذا فالنشاط الفني يمثل فاعلية حرة هي أبعد ما تكون عن مجرد الخضوع للطبيعة، أو التعبد للواقع)[48] إنما يقوم به المصور(هو تصوير الألوان، بينما يحاول الفنان المبدع أن يجعل من ملونته نموذجا أكثر منها واسطة)[49] إنه جهد غايته القصوى (أنسنة اللون)[50] .

الهوامش:

1- أحمد عمر المختار- اللغة واللون- دار البحوث العلمية- الصفاه الكويت ط1 1402/ 1982م ص 162

2- Maurice déribéré la couleur _ presses universitaires de France. 108 Bd Saint germain . paris 1970 p90

3- اللغة واللون ص136

4- محي الدين طالو – الرسم واللون مكتبة الأطلس – دمشق –إشراف وزارة الثقافة والإرشاد القومي ص172

5- نوري حمودي القيسي- الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها مجلة الأقلام الجزء 11 تموز 1969 بغداد ص76

6 -Maurice déribéré la couleur p 90

7- اللغة واللون ص163-146

8 -Maurice déribéré la couleur p 90

9- الألوان ودلالاتها السياسية في العصر العباسي الأول د.فاروق عمر _ مجلة كلية الأداب، جامعة بغداد العدد 14 المجلد الثاني ص 836.

10- المرجع نفسه ص 828و 823

11- المرجع نفسه ص 828

12- المرجع نفسه ص 828

13- المرجع نفسه ص 832

14- المرجع نفسه ص 828

15- المرجع نفسه ص 829

16- الرسم واللون ص 165

17- محمد حافظ دياب جماليات اللون في القصيدة العربية مجلة فصول عدد خاص بالأدب والفنون مجلد 5ع2 يناير. مارس1985 تصدر عن الهيئة المصرية العامة لكتاب القاهرة ص 41.

18-المرجع نفسه ص41

19-المرجع نفسه ص41

20-جورج سانتيا- الإحساس بالجمال تخطيط لنظرية في علم الجمال ترجمة محمد مصطفى بدوي مراجعة د.زكي نجيب محمود – مكتبة الأنجلو المصرية 165 القاهرة ص 99.

21- يوسف حسن نوفل الصورة الشعرية والرمز اللوني دار المعارف كرنيش النيل القاهرة ص77

22- المرجع نفسه ص 77

23-Henri Pfeiffer harmonie des couleurs (cours théorique et pratique)préface de Maurice déribéré quateriéme édition DUNOD _ PARIS 1972 p 05

24 -la couleur p 91

25- يوسف حسن نوفل الصورة الشعرية والرمز اللوني ص 34

26-اللغة واللون ص 185. 186

27- الرسم واللون 171

28 -la couleur p 91

29- اللغة واللون 186

30- الصورة الشعرية والرمز اللوني ص 34 / الرسم واللون ص 172

31- جماليات اللون في القصيدة العربية ص44

32- الرسم واللون ص173

33- اللغة واللون ص175

34- الرسم واللون ص 173

35- جماليات اللون في القصيدة العربية ص46

36- اللغة واللون ص184

37- الرسم واللون ص 172

38- المرجع نفسه ص 172

39- الصورة الشعرية والرمز اللوني ص 34

40 -la couleur p 91

41- جماليات اللون في القصيدة العربية ص48

42- اللغة واللون ص184

43 -la couleur p 91

44- اللغة واللون ص 137

45- الصورة الشعرية والرمز اللوني ص 34

46- نوري الراوي فلسفة اللون في الفن مجلة الأقلام تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد – العراق ع ربيع الثاني 1384 هـ / أيلول 1964 ص 116.

47- المرجع نفسه ص 116

48- د زكريا إبراهيم فلسفة الفن عند آلان / التعبير بالألوان(آفاق الفن التشكيلي) مجموعة من الكتاب / كتاب العربي إصدار فصلي عن مجلة العربي وزارة الإعلام الكويت تقديم د- سليمان إبراهيم العسكري العدد39/ 15 يناير 2000 ص 45

49- فلسفة اللون في الفن ص 116

50المرجع نفسه ص 116

قائمة المصادروالمراجع

المراجع العربية

1/ أحمد عمر المختار- اللغة واللون- دار البحوث العلمية- الصفاه الكويت ط1 1402/ 1982م

2/ زكريا إبراهيم فلسفة الفن عند آلان / التعبير بالألوان(آفاق الفن التشكيلي) مجموعة من الكتاب / كتاب العربي إصدار فصلي عن مجلة العربي وزارة الإعلام الكويت تقديم د- سليمان إبراهيم العسكري العدد39/ 15 يناير 2000

3/ محي الدين طالو – الرسم واللون مكتبة الأطلس – دمشق –إشراف وزارة الثقافة والإرشاد القومي

4/ يوسف حسن نوفل الصورة الشعرية والرمز اللوني دار المعارف كرنيش النيل القاهرة

المراجع المترجمة

1/ جورج سانتيا- الإحساس بالجمال تخطيط لنظرية في علم الجمال ترجمة محمد مصطفى بدوي مراجعة زكي نجيب محمود – مكتبة الأنجلو المصرية 165 القاهرة

مجلات ودوريات علمية

1/ فاروق عمر - الألوان ودلالاتها السياسية في العصر العباسي الأول _ مجلة كلية الأداب، جامعة بغداد العدد 14 المجلد الثاني

2/ محمد حافظ دياب جماليات اللون في القصيدة العربية مجلة فصول عدد خاص بالأدب والفنون مجلد 5ع2 يناير. مارس1985 تصدر عن الهيئة المصرية العامة لكتاب القاهرة .

3/ نوري الراوي فلسفة اللون في الفن مجلة الأقلام تصدر عن وزارة الثقافة والإرشاد – العراق ع ربيع الثاني 1384 هـ / أيلول 1964

4/ نوري حمودي القيسي- الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها مجلة الأقلام الجزء 11 تموز 1969 بغداد

المراجع الأجنبية

1 / Henri Pfeiffer harmonie des couleurs (cours théorique et pratique) préface de Maurice déribéré quateriéme édition DUNOD _ PARIS 1972

2 /Maurice déribéré la couleur _ presses universitaires de France. 108 Bd Saint germain . paris 1970 p90